مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة - تصدر سنويًا

العدد
السادس عشر
1999

1429 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1999 إفرنجي

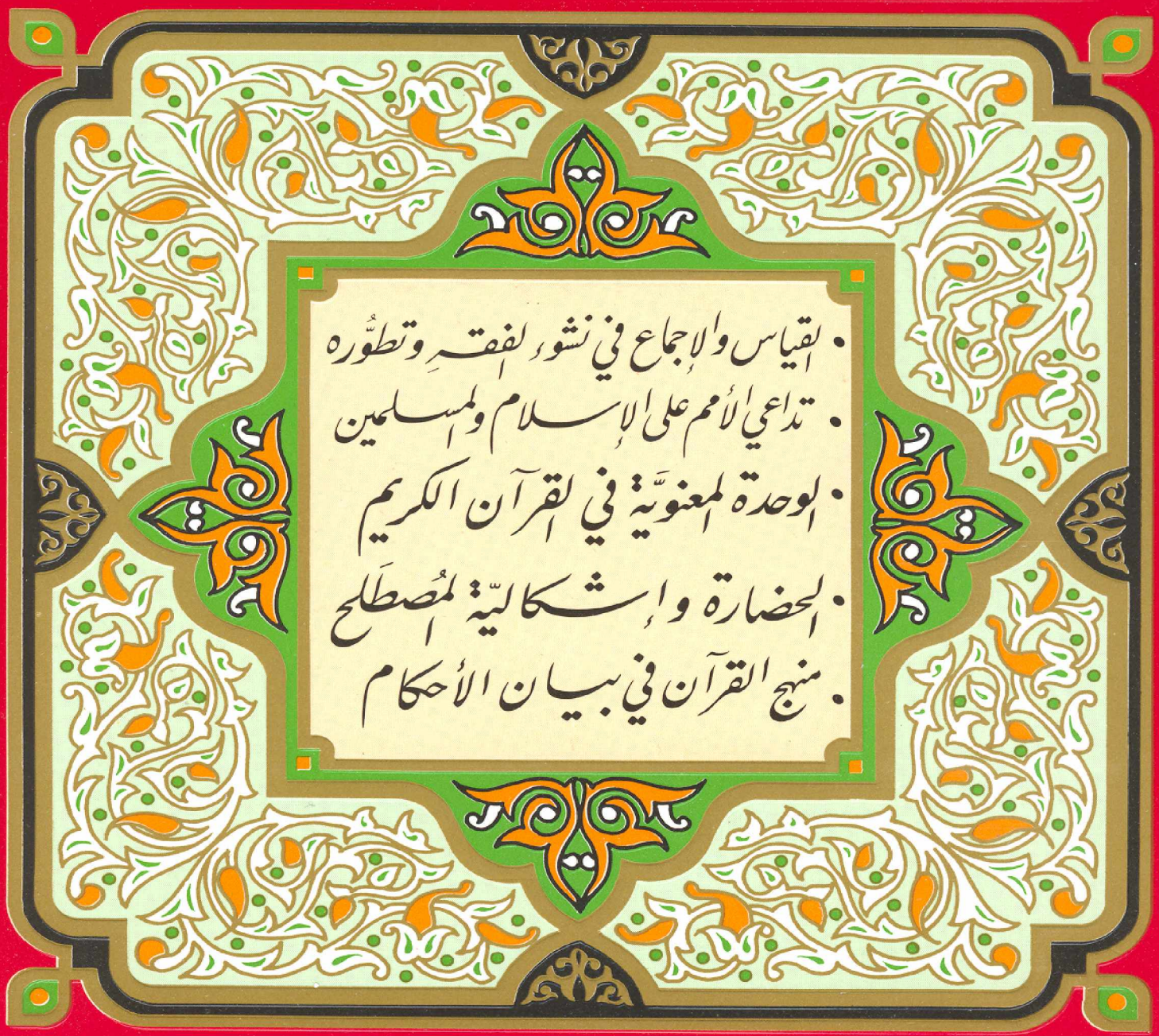

منهج هلال ناجي وقواعده
في تحقيق النصوص

د. نصير غازي زاهد
جامعة الفاتح ـ كلّية التّربية

تقديم

هذا بحث في واحد من كبار الأدباء المحققين المهتمين بالتراث العربي في عصرنا. امتاز بأكثر من صفة عن محققي التراث ـ وهم كثر في هذا العصر ـ.

لقد كنا منذ أوائل الستينيات في مدينة النجف مغرمين بالشعر قولاً وسماعاً ونقداً. نركض وراء مناسباته وندواته نتقصدها تقصداً. ومدينة النجف مدينة شاعرة في ماضيها وحاضرها القريب، وإن كانت قد تأثرت تأثراً حزيناً في ظل الأوضاع الأخيرة، ظل الحروب والحصار القاتل.. كنا نسمع قصيدة أو نقرؤها فنقول: إنّ وراءها شاعراً مقتدراً أو شاعراً ضعيفاً. ذلك بمدى تأثرنا وإحساسنا بقائلها واندفاعه وحبه، بل عشقة للشعر وقوله.. وحين يقرأ قارىء كتابات هلال

ناجي في قضايا التحقيق خاصة، يحسّ الإحساس كلّه أنّ هذا الرجل عاشق للتراث مندمج في أجوائه، يحاوره ويناظره، بل يناجيه حين يخلو به المكان. فلياليه كلها خلوة تراثية. يبتهج حين يسمع بمخطوطة نادرة عثر عليها أو نشرها محقق، أو يمكن العثور عليها، فيسعى للفوز بوصلها، حتى أمكن القول فيه: إنه يبحث عن المخطوط في الأرض أو في السماء، ولا يهدأ له بال حتى يعثر عليه أو يعثر على خبر له.

ومنذ أن تعرّفتُ عليه أواخر الستينيات في مكتبه المطل على ساحة الرصافي ببغداد، وسط شارع الرشيد، وكان قد اتخذ قراره الحكيم في الاتجاه للعلم والأدب وتحقيق التراث. فهذا أسمى سبيل لخدمة هذه الأمة وصون لغتها. وكان يصحبني إلى مكتبة الصديق المرحوم جابر الخاقاني. باركت في نفسي هذا القرار، وأعلنت له مباركتي، إذ لقي ذلك هوى في نفسي؛ لأني وأنا صغير أكره العمل السياسي، إذ وجدت السياسي شبه ضائع في بلد النفط، ينطبق عليه قول أبي فراس:

. . . . . لنا الصدر دون العالمين أو القبر

منذ ذلك الوقت أحسست بأنّ هذا الرجل غير عادي في طاقاته، فهو يحاول أن يعبر عنها جميعاً بأعلى مستوى من الأداء، فيتفوّق في كل شيء يميل إليه فيحسنه. فهو في الشعر شاعر عالي الصوت، وفي المحاماة مثال للمحامي الأديب. فمرافعاته في المحاكم كانت محاضرات ودروساً يتجمع لسماعها كبار المحامين وصغارهم، وفي النقد كان جامعاً لأسبابه. وأهم خصائصه في نقده أنه يستخدم معرفته في القانون وخبرته في مجال تطبيقه. ويضاف إلى استيعابه للقوانين محاولته استيعاب أطراف الموضوع الذي ينقده، ثم حشده كل أدلته وحججه القاطعة لإثبات حكمه في المنقود؛ لذا فهو له أسلوبه في الكتابة ومعجمه ومفرداته فيها. وهو في التحقيق جامع لأسبابه. وكتاب (متخير الألفاظ) لابن فارس من أوائل أعماله الفائقة التي نالت الإعجاب والإكبار في أوساط المحققين وأهل التراث، ولفتت الأنظار إلى هذا المحقق الهلال الذي

أصبح قمراً يغطي نوره أرجاء واسعة من التراث. اتحف المكتبة العربية بفنون من الكنوز، لولاه لكانت خفية.

لقد وُهِبَ الخصائص التي ينبغي أن يتصف بها المحقق الفذ. قال عبد السلام هارون: «إن التحقيق نتاج خلقي لا يقوى عليه إلاّ من وهب خلتين شديدتين: الأمانة والصبر وهما ما هما»[1] ومع هاتين الخلتين اتصف هلال ناجي بحدة الذكاء وسرعة الحركة.

هذا تصوّري له قبل ثلاثين سنة. واليوم ونحن في سنة 1997م كبر هذا التصور، ولم يخدشه شيء عبر هذه السنين التي مرت ومرت معها كوارث على وطننا، لكنّ هلال ناجي بقي منتصب القامة يحمل تراث أمته وسط ركام حروب قاسية مرَّ بها الوطن. ظل منكباً على المخطوطة، تملأ آفاقه وتشيع الدفء في حناياه حتى تجاوزت مطبوعاته المئة والعشر، إبداعاً وتأليفاً وتحقيقاً. وحين جفّت ينابيع النشر في العراق بسبب أوضاعه المأساوية، وثقل الحصار الظالم عليه، فتح آفاقاً جديدة في بيروت والقاهرة وغيرهما. وما زال طموحه الكبير يتحدى زماننا الصعب وأيامَهُ الشاحبةَ، ويتحدّى ذلك بذبالة روحه وجذوة نشاطه:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ادعو الله، تعالى ـ وأنا في مغتربي ـ أن يهيىء له كل أسباب الصحة والنشاط ليكمل رسالته التي احتوت على أعمار، وتجاوزت عمر الفرد. هكذا تكون حياة الأفذاذ عالماً واسع الآفاق.

فهنيئاً له ولأمته العربية في ميلاده السبعين، راجياً له طول البقاء ودوام النشاط والثمر الشهي.

طرابلس الغرب 18/ 6/ 1997

---

(1) تحقيق النصوص ونشرها ص44.

تمهيـد:

من يتتبع جهود هلال ناجي في تحقيق النصوص يجد هذه الجهود تقع بين مصطلحين اختلف في وصف التحقيق بأحدهما، وندر من تعرض لذلك: فالمصطلح الأول هو فن التحقيق، والآخر علم التحقيق. فهل التحقيق علم من العلوم أم هل هو فنّ من الفنون؟ حين يذكره الدكتور رمضان عبد التواب يجعله علم تحقيق النصوص[2]، لكنه في مقدمته يجعله فناً ويكرر مصطلح فنّ التحقيق في محاولة إثباته أنّ هذا الفن ليس حديثاً «فقد قام فنّ تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي»[3].

وقد ذهبتُ إلى أنه بين العلم والفن، ففيه من العلم جانب الدقة والتتبع والموضوعية، وفيه من الفن جمالية التنظيم وبهجة الإخراج. وهذا ما نحسه لدى الأستاذ هلال ناجي بجهوده في هذا المجال، وقد عبّر هو تعبيراً واضحاً عن ذلك في نوعين من أعماله: أحدهما مثّل اعتباره علماً، وذلك في نظمه أرجوزته «موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق»[4] وهي أرجوزة طريفة في مجالها؛ إذ لم يَجُلْ غيره في هذا المجال. ثبّت فيها تاريخ تحقيق النصوص وقواعده، وخطوات البدء باختيار المخطوط، وإثباته لمصنفه، ثم ما يتبع ذلك العمل من خطوات، كمقابلة نسخه المختلفة والإشارة إلى الخلاف بينها، حتى الانتهاء من نسخها ومقابلتها، ثم عمل الفهارس الفنية وكتابة المقدمة. وقد قال فيها:

هـذا الـذي أبـدىء أو أعـيـد علـم بـه الـتـأصـيـل والـتـجـويـد

لقد حاول في أرجوزته هذه تثبيت قواعد هذا العلم وتأصيلها وترتيبها وإيضاحها للدارسين، ثم استشهد بما يمكن أن يتحمله الشعر في هذا المجال بأسماء العلماء والأحداث والمصنفات. أثبت كل ذلك في مجال النظر والتأليف. هذا العمل كغيره من الأعمال العلمية التي نظمت شعراً يحتاج إلى

---

(2) مناهج تحقيق التراث 13.

(3) السابق 4.

(4) نشرها في مجلة المورد العراقية 1986م.

شرح وجهد آخر لتشيع فائدته، وكنتُ عزمتُ على ذلك لولا ضغط المشاغل واضطراب الأيام.

النوع الثاني من أعماله تمثّل فيه اعتباره التحقيق فناً علمياً. نجده في هذا المجال العملي يختلف عن كثير من المحققين. فهو لا يكتفي بجمع نسخ المخطوطات والمقابلة بينها واستخدام خطوات التحقيق الأخرى حتى يصل إلى نهاية العمل، لا يكتفي بذلك بل يضيف إلى هذه العناية الفائقة معايشة المخطوطة وقضاء الوقت المبهج، وأحياناً تكون بهجة متعبة بل مضنية، فهو يجد حلاوة في تعبها وعذابها ببحثه عن كلمة أو قراءة عبارة أو تصويب تحريف. فهو لا يلقي عمله بعد جهدٍ إلقاءً إنما يبقى يتحدث عنه حديث محب عن حبيبه، إذا أخلف أو تأخر أو تخاصم. ويحس سامعه بحرارة حديثة وحرارة عمله واندفاعه المشتاق، يحسه مجسّداً في ملامحه وتقاطيع كلامه أو تدفقه. هذه الروح التي يتصف بها هلال ناجي، لم أجدها في غيره، وقد عبّر عنها في مقدمات أعماله المحققة. وقد قال في أرجوزته: (تقديمك الكتاب فنّ قائم..)؛ لذلك استطاع أن يجمع في خزانته نوادر المخطوطات، في مختلف الموضوعات لكنها في حدود علوم الأدب واللغة، ثم الخط الذي كان هواية المحقق هلال ورثها عن آبائه. وأعمال والده في مجال الخط غير خافية على المعنيين، وأهمها عملان هام:

«مصوّر الخط العربي»، الذي نشره المجمع العلمي العراقي، ثم كتاب «بدائع الخط العربي» وهو عشرة أجزاء لم يكمل نشره. ولهلال أعمال في الخط مهمة منها كتابه عن (ابن مقلة)، ونشره رسالة له في الخط، ثم كتابه عن (ابن البواب) ثم نشره كتاب «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» لابن الصائغ المنشور في تونس مرتين.

منهجه في التحقيق وأهم خصائصه:

يستطيع الدارس أن يتبين منهج هلال ناجي والقواعد التي أرساها في تحقيق النصوص بثلاثة مجالات من جهوده، ففي قراءتها تظهر ملامحه

المنهجية، وخصائصه التي تفرد بها أو ما شاركه فيه الآخرون وهذه المجالات هي:

1 ـ أرجوزته في علم قواعد التحقيق وتاريخه (موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق) وعدد أبياتها 256، مئتان وستة وخمسون بيتاً[5].

2 ـ تأسيسه لقواعد التحقيق ونقده في كتابيه (محاضرات في تحقيق النصوص)[6]. ثم كتابه (المستدرك على صناع الدواوين)[7] مشترك.

3 ـ مقدماته لكتبه المحققة أو بحوثه النقدية، وقد اتُّخِذَتْ أجزاءٌ منها في كثير من الأحيان مواضع للاستشهاد والاقتداء بها.

1 ـ (موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق):

اختلفت أساليب التأليف والتصنيف في علوم العربية. فمن العلماء من صنف الكتاب الشامل لعلم من العلوم، ومنهم من وضع مختصراً موجزاً أو شرحاً لكتاب سابق، وعندما نتوغل في عصور التأليف فنصل إلى القرن السادس نجد لوناً من المتون تنتظم العلوم العربية على صورة الشعر، وفي الغالب تكون على بحر الرجز؛ لأنه أكثر البحور استجابة واستيعاباً وطواعية. فوضع العلماء المتون الشعرية في النحو والعروض والتجويد، وقد ذكر الأستاذ هلال ناجي في المدخل لأرجوزته هذه ألواناً من العلوم نظمت فيها المتون[8]. ولكن لم يرد متن منظوم في علوم تحقيق النصوص على الرغم من أن التأليف في هذا العلم حديث العهد، فقد صنفت في مناهجه كتب ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «مناهج تحقيق التراث»[9].

فأرجوزة الأستاذ هلال جاءت رائدة طريفة في هذا العلم، وهو حين

---

(5) نشرت الأرجوزة في مجلة المورد العراقية 1986م.

(6) نشر في بيروت ـ دار الغرب الإسلامي 1994م.

(7) شاركة فيه الدكتور نوري القيسي. نشره المجمع العلمي العراقي 1993 وأعادت نشره عالم الكتب ـ بيروت.

(8) ص169 ـ 171 مجلة المورد 1986.

(9) ص 58 ـ 59.

نظمها عارف أنه رائد في نظمها. أودع فيها تاريخ علم تحقيق النصوص وقواعده. بدأها بمدخل ضم ظهور هذا العلم في أوروبا في أثناء نهضتها وازدهار حركة إحياء التراث اليوناني واللاتيني فيها، وظهور محققين ومناهج مختلفة، ثم ظهور مفهرسين وعلماء جمعوا مخطوطات التراث العربي ومعلومات عنها، وألفوا فيها بحيث جعلوا معرفة المخطوطات وأماكنها يسيراً. وأهم ما ظهر في هذا المجال موسوعة بروكلمان، ثم موسوعة سزكين، ثم موسوعة الذريعة للشيخ آغابزرك الطهراني.

تناول بعد هذا «المدخل»[10] المصنفين في قواعد التحقيق والنشر[11] فأشار إلى من ألّف في هذا العلم بدءاً من برجستراسر، والمنجّد وبنت الشاطىء، وغيرهم معترفاً بفضلهم وبعلمهم «فالعلم بحر ما له حدود» كما قال.. ثم بدأ بخطوات التحقيق وأولها: «حصر النسخ لجمعها والسبيل الأمثل للفهرسة»[12]. وأول خطوة في حصر النسخ مراجعة بروكلمان، فهو قد أحصى الأصول وحصرها. ومع أهمية الرجوع إلى بروكلمان ينبغي أن نعي أن في موسوعة بروكلمان «تاريخ الأدب العربي» أخطاء ينبغي الانتباه لها؛ لأنه قد اعتمد الفهارس المطبوعة «وهي بألف خطأ مشفوعة»، ولكن مع ذلك فكتابه مهم، ففيه «المدخل البكر الذي يضوع» وقد كشف البحث عن قضايا دفينة وظهرت حقائق، فعلى الباحث «أن يرى المخطوط بالعيان» ثم قال[13]:

والرأي عندي فحصه المخطوطا من داخل ليأمن التخليطا

بعد جمع النسخ وحصرها تأتي خطوة «ترتيب النسخ»، وأولها نسخة المصنف، ولكن ينبغي التثبت من أنّ نسخة المصنف يجب أن تكون الأخيرة،

---

(10) ص 172 من المورد.

(11) ص 173 من المورد.

(12) ص 173 من المورد.

(13) ص 174 من المورد، وقد ذكر المصنفون في هذا العلم هذه الخطوة المهمة، انظر تحقيق النصوص لهارون ص27 ـ 38، مناهج تحقيق التراث للدكتور رمضان ص60 ـ 91، تحقيق نصوص التراث للدكتور الصادق الغرياني ص69 ـ 76.

لأن من المصنفين من يزيد وينقص في كتابه، فيرويه روايات عدة. وبعد النسخة الأم النسخة المقروءة على المصنف أو التي قرأها، وبعدها المنقولة عن الأصل، ثم المكتوبة في عصر المصنف، ثم المنسوخة في عصره، ثم الحديثة التي كتبها عالم من العلماء، وإذا ما فقدنا هذا الترتيب فالأقدم تكون هي الأصل، وهكذا تكون مهمة المحقق وغايته أن ينقي موضوع عمله من التصحيف والتحريف:

وأن يكون النص في الإخراج كصورة الأصل السليم الناجي[14]

تناول بعد ذلك موضوع «خطر الاعتماد على النسخة الواحدة»[15]، واستشهد بأمثلة من ذلك، وقد أشبع هذا الموضوع بحثاً في كتابه «محاضرات في تحقيق النصوص» الذي سيأتي الحديث فيه، ومثل ذلك «خطل نشر المختصرات مع وجود الأصل الكامل» وهو موضوع مهم أطال الحديث عنه في كتابه المذكور.

ثم تناول نسخ المخطوطة إذا تعددت إلى فئات، واختيار بضعة نسخ قيّمة صحيحة، ثم اتخاذ أصحها أمّاً، وهنا يكون المقياس الصحة لا القدم:

فليست العبرة بالقديمة وإنما العبرة بالقويمة[16]

وعند مقابلتها تثبت الخلافات في الهوامش.

ثم تناول موضوع «غاية التحقيق والقصد منه» فالغاية من التحقيق يشترك فيها المحققون، ولكن هي عند هلال ناجي إضافة إلى العناية والدقة الذكية في فرز القحم والمدخول، إذا وجد أو شرح الغامض، هي التأصيل وربط الفروع بأصولها إذ لا فرع بلا أصل[17].

حتى يجيء النص في النهاية في غاية الوضوح والكفاية
مطابقاً لصنعة المصنف منزّهاً عن سقطات السلف

---

(14) ص 174 من المورد.
(15) ص 174 من مجلة المورد.
(16) السابق ص 175.
(17) السابق ص 175.

والقصد إحياء تراث السلف من خَلَفٍ أدرك معنى الخَلَفِ

فليس في الأرض بناء شامخ إلاّ له في الأرض جذر راسخ

فغاية التحقيق إذن أن تكون مقصودة من المحقق، بل ينبغي أن تكون محببة منه داخلة في نفسه وفي تفكيره؛ لأنه لا يحيي كتاباً قديماً بل يحيي جذراً ثقافياً وحضارياً قديماً يتعلق ويتصل به امتداده الحاضر، فغاية التحقيق حضارية لا مجرد إحياء قديم، وهذه صفة يفتقدها كثير من المحققين.

بعد أن يهيىء كل هذه الأسباب يدخل في «تحقيق النص»[18] ويدخل هنا في مهمة التحقيق بدءاً بعنوان المخطوط ومحاولة التثبت منه، وذكر ضروبٍ من الأسباب التاريخية التي أدت إلى تغيير عنوان المخطوط، فتزييف العنوان ربما يكون من النسَّاخ، وقد يكون من خطأ التقدير بعد فقدان ورقة العنوان فعلى المحقق أن يَتَثَبَّتَ من عنوان المخطوط ونسبته مستعيناً بالفهارس والمعاجم، ثم بتدقيق نص المخطوط. وقراءته ومعرفة أسلوبه ونهج مصنفه وما ورد فيه من أحداث أو ذكر لأعلام:

فدقّق المنهج والأسلوبا وحقق الأحداث والغيوبا

ثم تتوجه العناية إلى النص نفسه وما احتواه من أقوال ونصوص منقولة ومروية، ونسبة ذلك إلى مصادره التي تذكر في الهوامش، ومحاولة المحافظة على النص إذا كان مكتوباً بقلم مصنفه وللمحقق الهامش، ففيه يذكر توضيحاً أو تصحيحاً. أما إذا كثرت النسخ وانتقيت الأم من بينها فهو يرى أنّ المتن يثبت فيه الصحيح الصواب والقول المرجوح يثبت في الهامش. أما الزيادة على ما في النسخة الأم فأجاز أن تذكر في المتن وتوضع بين حاصرتين وكذا ما يقتضي من الزيادة.

وهكذا يسرد ألواناً من الآراء في معالجة النص وما يثبت في الهامش، وما يرجع إليه من المصادر لتوضيح ما ينبغي توضيحه في قضايا اللغة، فتراجع أمهات المعاجم وكتب اللغة.

---

(18) السابق ص 176.

يصل بعد ذلك إلى «تقسيم النص وترقيمه»[19]. وهو يرى المحافظة على تبويب المصنف وإذا كان النص على أبواب فجوز ترقيم الأبواب أي استعمال الوسائل التي تساعد على إيضاح النص وتسهيل الإفادة منه. فذكر ضروباً من الأساليب المتبعة في ذلك، ثم ذكر منهجه الذي يراه صحيحاً. أما (الرسم والشكل)[20] فقد تطرق له ذاكراً بأيّ رسم أو إملاء ننسخ المخطوط. فهو يدعو إلى اتخاذ أحد الصور في الكتابة؛ لأنّ الرسم والإملاء متطوران:

فالرسم والخطوط لا تدوم ... لكنه تطور محتوم

ثم تعرض إلى ضرورة الشكل في أجزاء من النص، فمما يكون ضرورياً شكله الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر والأعلام.

ثم تعرض إلى الرموز التي اتخذت في تراثنا في مجال رواية الحديث ودرجاته[21]، من صحيح وحسن ومرسل ومنقطع. ينبغي أن ينظر المحقق إلى كل ذلك ويخرج الحديث من مصادره الموثقة.

وتطرق إلى علامات الترقيم[22]، وما ينبغي للمحقق أن يستعمله منها، ففي نهاية الجملة النقطة، وبعد القول نقطتان، وللخرم النقط المعلَّمة كل ثلاث نقط لكلمة، ثم علامة التعجب والاستفهام والاعتراض وتقطيع الجمل، وكذا رموز التحقيق الأخرى من الأقواس بأنواعها، وما يشير إلى نهاية الصفحات. فللوجه (واو) وللظهر (ظاء) والرموز الأخرى التي عرضها تراثنا العربي.

و«الحواشي»[23] كان لها نصيب في الأرجوزة وما ينبغي لها أن تؤديه في التحقيق:

وخصص الهامش للتخريج ... ولاختلاف النص في الوشيج

ثم ما يجب أن يرجع إليه في تخريج النصوص. ينبغي أن يرجع إلى

---

(19) ص 177 من مجلة المورد.

(20) السابق.

(21) ص 178 من مجلة المورد.

(22) السابق.

(23) السابق.

المصادر المتخصصة لكل نوع من النصوص. فالشعر يخرج من الدواوين أو من كتب الأدب الموثقة إن لم يكن للشاعر ديوان، والمثل من كتب الأمثال، والأعلام من مصادرها، ثم محاولة عدم إثقال الهوامش بالأشياء الزائدة عن المطلوب.

وتناولت الأرجوزة أيضاً (طرق التحمل والأداء)[24] فذكرت طرق تحمل الحديث الثمانية بمصطلحاتها المعروفة من السماع والإقراء والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام والوجادة والوصية. ثم تعرضت إلى الفهارس[25] بعد الانتهاء من النص وألوان الفهارس الفنية التي يحتاج إليها النص، وهي من مستلزمات التحقيق العلمي حتى وصل إلى «المقدمة»[26].

تقديمك الكتاب فن قائم على ثلاث سنها العيالم

وذكرت ما ينبغي أن تتعرض له المقدمة من ذكر نبذة عن حياة المصنف ومنهجه، وما يتعلق بالمخطوطة وعدد أوراقها ومقاسها ووصفها، وتثبيت نماذج مصورة من أوراقها. ولهلال ناجي منهج خاص وبراعة تَفرُّد في كتابة مقدماته سيأتي الحديث عنها.

حتى وصل إلى آخر موضوعاتها (الختام)[27] قائلاً:

سمّيتها موضحة الطريق إلى سوى مناهج التحقيق

ولي بها سبق على الأقران ليس لها فيما علمت ثان

كان عدد أبيات الأرجوزة (256) مئتين وستة وخمسين بيتاً قسمها إلى تسعة عشر باباً بعد المدخل الموجز. فهيكل الأرجوزة يؤلف كتاباً منظوماً في علم التحقيق بدءاً من البحث عن المخطوط ومعرفة عنوانه ونسبته إلى مصنفه، حتى الانتهاء من تحقيق نصه وعمل فهارسه وكتابة مقدمته ودفعه إلى المطبعة. فما

(24) السابق 181.

(25) السابق.

(26) السابق 181.

(27) السابق 182.

تضمنته هذه الأرجوزة خلاصة ما نشر من جهود في علم التحقيق، مضافاً إليها براعة التنسيق والاجتهاد في الرأي، وعمق التجربة وطرافة التعبير.

2 ـ تأسيسه قواعد التحقيق ونقده في كتابيه: «محاضرات في تحقيق النصوص، والمستدرك على صناع الدواوين»:

بعد أن أفرغ أفكاره وآراءه في علم التحقيق والخطوات التي ينبغي للمحقق أن يسير عليها في أرجوزته «موضحة الطريق» أحس الأستاذ هلال ناجي أن ذلك العمل لم يستوعب كل ما يجول في ذهنه، وَطَبَقَهُ في تجاربه من أصول هذا العلم وقواعده التي اختلفت فيها الآراء والأقوال: فمنهم من وقف منه موقفاً ساذجاً تصوّره تعباً دون جدوى في أعمال الغير، فهو لديه ضعيف الإبداع أو عديمه، ومنهم من عدّه علماً لا يستطيعه إلا ذو مقدرة تحيط بها جملة من المعارف والثقافات، إضافة إلى حاجتها إلى الذكاء والدقة ثم الصبر والإخلاص، وهذه مجموعة من الصفات لا تجتمع دائماً لدى كل من عمل في مجال التحقيق، فهو علم لا يعرفه إلاّ من كابده وعاناه:

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

لقد أحسّ أنّ جزءاً من تجاربه وخبرته في هذا المجال ظل دون تعبير، فكانت هذه المحاضرات التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا في كليات جامعة بغداد والمستنصرية وغيرهما، وقد أصغى لها أساتذة علم التحقيق وطلبتهم بإعجاب، وكان الأستاذ هلال فارس هذا الميدان، يعرض تجاربه واجتهاداته في أثنائها. والكتاب قوامه أربعة موضوعات تسبقها مقدمة هي:

1 ـ توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه.

2 ـ خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة.

3 ـ في التصحيف والتحريف.

4 ـ كتاب أحسن ما سمعت.. وعدم جواز نشر المختصر مع وجود الأصل الكامل المخطوط.

وكل موضوع من هذه الموضوعات مثّل مجموعة من تجارب هذا المحقق الواسع الأفق، وقد امتلأت بالملاحظات والنقدات المهمة. هذا الكتاب إلى جانب كتابه: «المستدرك على صناع الدواوين» أفضل ما صدر في عصرنا بنقد تحقيق النصوص، فقد خصص الأخير لنقد تحقيق الشعر وما ينبغي للمحقق أن يهيِّىء ثم يرتب ما يهيئه ويعنونه. وفي هذا العمل يرسي قاعدته في التحقيق بتفريقه بين ديوان مخطوط ونشره تحت عنوان ديوان، أو جمع شعر متناثر في المظان لشاعر ونشره. أما كتابه المحاضرات فقد خصصه لنقد تحقيق كتب صدرت لمحققين أكفاء معروفين في عالم التحقيق والفهرسة مستشرقين وعرب منهم: رودلف زلهايم وبروكلمان والدكتور مصطفى جواد وعمر الأسعد وأحمد الجندي وغيرهم. وفي كتابيه المذكورين أيضاً نجده قد استخلص قواعد للتحقيق مهمة ومفاهيم شرحها وأسس لها بأدلة وحجج من تجاربه وأمثلة من واقع التحقيق والكتب المحققة ومن هذه القواعد: (توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه) ثم (خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة)، ثم قاعدة (عدم جواز نشر المختصر مع وجود الأصل).

نحن قد نجد بعض هذه القواعد في الكتب المؤلفة في التحقيق، لكننا حين نجدها عنواناً لمحاضراته ثم نغور في قراءتها ندرك أنّ هذا الرجل أرساها قواعد ودلّل عليها وضرب لها الأمثلة الغزيرة، ورسخها قواعد ومفاهيم في هذا العلم لا نجدها في أعمال غيره، فقد نجد جوانب منها أو قد نجد صفته بكثرة الاستشهاد للقضية الواحدة عند محققين أكفاء معروفين مثل الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب، كما خصص الباب الثالث (مقالات في تحقيق التراث) في كتابه (مناهج تحقيق التراث) فقد نقد ثمانية كتب محققة وأبان فيها ملاحظات مهمة، لكن هذا النقد كان عاماً يلقي الضوء على نواقص لحقت بهذه الكتب لو أخذ بها محققوها لكانت أعمالهم أفضل مما كانت عليه، لكننا نجد هلال ناجي ينظم أفكاره ويرتب موضوعات نقده على وفق قواعد التحقيق التي أرساها، ويستشهد لكل قاعدة بما يكفي بل يفيض لإثباتها وجعلها معلماً في علم التحقيق يهتدي به المحققون.

وَلْنقصِر الحديث على قواعد أربع أرساها وثبتها بأدلة وحجج من تجاربه وخبراته في تحقيق التراث:

القاعدة الأولى: في نشر الشعر: تفريقه بين مصطلحي ديوان وشعر، وقد أصبحت هذه القاعدة مجالاً معتمداً في ما ينشر من الشعر المحقق. وممن أخذ بها ونقد عملاً محققاً في المغرب العربي الأستاذ عبد العزيز الساوري في استدراكه ونقده محقق (ديوان ابن حبوس الفاسي) (ت 570هـ) جعفر بن الحاج السلمي المنشور في مجلة المناهل المغربية[28]، وسماه ديواناً، وهو مجموع شعر ليس محققاً على مخطوطة، إنما جمعه من المصادر والمظان.

لقد استند الساوري إلى قول هلال ناجي وقاعدته هذه. وعند ردّ السلمي محقق الديوان على الساوري المستدرِكِ عليه قال: (وقد وشّح الأستاذ عبد العزيز الساوري استدراكه على ديوان ابن حبوس الفاسي بما نقله من كلام هلال ناجي، وهو من باب براعة الاستهلال عند علماء البلاغة لأنه مشعر بما سوف يأتي بعده من التوجه والقول)[29].

وقول هلال ناجي الذي استند إليه المستدرِك هو: (وصنع الدواوين التي ضاعت أصولها في حد ذاته عمل حميد إذا وقع المحقق على نسخة خطية من الديوان، أو قطعة منه فأضاف إليها بجهده ما تناثر من شعر الشاعر في شتيت المظان والمصادر، لكن واقع الدواوين المصنوعة في زماننا هذا يغاير هذا الافتراض في الأعم الأغلب؛ فهي تعتمد على الجمع بلا أصل خطي، ومن هنا وقع جل هؤلاء الصانعين في المأخذ الأكبر وهو شيوع النقص المخل في دواوينهم المصنوعة وانتشار الثغرات وانتشارها)[30].

وقد تمسك الساوري بهذه القاعدة في نقده (ديوان ابن حبوس) قائلاً: (حين يكون ديوان شاعر ما مفقوداً جرى العرف عند صناع الدواوين على تسميته بـ(شعر) أو (مجموع من شعر) أو (نتف من شعر) لأن لفظ ديوان يطلق عادة

---

(28) العدد 50 سنة 1996.

(29) ص209 من مجلة المناهل ـ العدد 53 سنة 1996.

(30) المناهل 209.

على إنتاج الشاعر كله، وتسمية هذا المجموع بـ(الديوان) لا يخلو من ادعاء، لما بينه وبين العمل المنجز من المفارقة وعدم التطابق)[31].

وهكذا شاعت هذه القاعدة في التحقيق وأخذ بها من عمل في هذا المجال واستشهد بها في نقده لأعمال في تحقيق الشعر.

القاعدة الثانية: (توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه)[32] هذه القاعدة من قواعد التحقيق المعروفة نظرياً، ويؤخذ بها عملياً، ولكن هلال ناجي أرساها قاعدة راسخة لها مقاييسها وأبعادها العملية في تطبيقات قواعد هذا العلم في أعماله، وجعلها عنوان المحاضرة الأولى من محاضراته. فأيدها واستشهد لها بنظراته وتجاربه في هذا العلم إذ قال: (وهو موضوع ألمّ به إلمامة عابرة عالمان جليلان: الأول هو الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه (تحقيق النصوص ونشرها)، والثاني هو الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (مناهج تحقيق التراث بين القدامي والمحدثين)، كلاهما تحدث عن هذا الموضوع حديثاً موجزاً ظل يحنّ إلى مزيد من الشرح والتفصيل والتعليل والتدليل، فرأيت خدمة لهذا العلم الجليل ولتراث هذه الأمة أن أصل حبلي بحبلهما، وأن أفصّل الحديث في هذا الموضوع الخطر من خلال تجربتي وما وقفت عليه»[33]. ثم أضفى عليها من خبرته وتجاربه في عالم المخطوطات، وذكر ما يحصل للمخطوط العربي عبر الزمن من تغيير وتشويه وتزييف أحياناً، فقد تسقط صفحة العنوان، وقد يسقط اسم المصنف، وقد يختفي الاثنان، أو قد يزيف ويغيّر أحدهما. فماذا ينبغي للمحقق أن يعمله في هذه الحال لإثبات الحقيقة؟

لقد استشهد بعمله في تحقيق (ألفية الآثاري في الخط) والنسخ الثلاث التي وقف عليها منه، وكيف توصل إلى عنوان المخطوط المفقود في النسخ الثلاث[34]. ثم ذكر تصديه لنشر كتاب (تحفة الألباب في صناعة الخط والكتاب)

---

(31) المناهل 211.

(32) محاضرات في تحقيق النصوص ص7.

(33) السابق ص 7، 8.

(34) السابق 8.

لابن الصائغ (ت845هـ) المنشور في تونس 1967، 1985م، وعثوره على أربع نسخ من مخطوطه، وجميعها كان غفلاً من العنوان، وبعضها سقط اسم المصنف منه، ثم كيف استطاع أن يصل إلى عنوان المخطوط واسم مصنفه، وأخذ يسرد تجارب الآخرين، وهي تجارب لمحققين معروفين نشروا مخطوطات بعنوانات مغلوطة منسوبة إلى غير مصنفيها.

من ذلك كتاب (نقد النثر) المنسوب خطأ لقدامة بن جعفر[35]. فالعنوان مغلوط كما هو اسم المصنف، ثم بعد ذلك نشر الكتاب محققاً بعنوانه الصحيح (البرهان في وجود البيان)[36] ونسبته المحققة إلى مصنفه إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب.

وهكذا فقد ذكر أكثر من خمس وثلاثين مخطوطة، نشرت بعنوانات مغلوطة ومصنفين موهومين، كما ذكر جهد المحققين في التثبت من عنوانات مخطوطات أخر، ونسبتها نسبة صحيحة، أو ردّ الخطأ في نسبتها إلى غير أهلها، كما هو جهد الدكتور مصطفى جواد في تفنيده نسبة شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري المسمى بـ(التبيان في شرح الديوان) بتحقيق الأساتذة: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، المطبوع في القاهرة أكثر من طبعة.

لقد عرض ستة أدلة للدكتور مصطفى جواد لتفنيد نسبة هذا الشرح للعكبري، ثم أثبت نسبته إلى مصنفه الأصلي عفيف الدين علي بن عدلان المتوفى سنة 666هـ، ثم قال[37] (تلك الأدلة التي ساقها الدكتور مصطفى جواد في نفي كون الشرح للعكبري، ثم استطاع بعد ذلك من خلال تعمقه في قراءة نص الشرح اكتشاف الحقيقة، قال: فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي:

تتقاصر الأفهام في إدراكه مثلُ الذي الإفلاك فيه والدُنا

(35) نشر الكتاب بتحقيق عبد الحميد العبادي وقدم له الدكتور طه حسين. مطبعة دار المعارف العمومية القاهرة 1939م.

(36) نشر بغداد بتحقيق د. أحمد مطلوب. . . دار الشؤون الثقافية.

(37) محاضرات في تحقيق النصوص ص30.

قوله: قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان: الرواية الصحيحة (مثل) بالرفع وهكذا كشف شارح ديوان المتنبي عن اسمه).

وكان تأكيد المحقق هلال ناجي في تثبيت هذه القاعدة في قواعد التحقيق على دعوته لدراسة المخطوط دراسة داخلية، ثم البحث عنه في مصنفات العلماء ونقولهم منه، ومحاولة جمع الأدلة العقلية والنقلية في تأكيد عنوانه واسم مصنفه قبل البت في تسميته وتسمية مؤلفه، حتى إذا ثبت بالأدلة القاطعة عنوان الكتاب واسم مصنفه شرع المحقق في استكمال لوازم تحقيقه وإعداده للنشر.

القاعدة الثالثة: (خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة)[38] قال: (أبرز المآخذ في نظري هو نشر النصوص ناقصة اعتماداً على نسخة واحدة دون الالتفات إلى أنّ هذا النشر لا يمثل الكتاب كما وضعه مصنفه)[39] ولصواب هذه القاعدة وأهميتها نسوق مثالين مما ذكر المحقق هلال في محاضراته، نذكر الحلقة الثانية (قطب السرور في أوصاف الخمور) لأبي إسحاق القاسم الرقيق النديم، تحقيق أحمد الجندي، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق[40]. هذا الكتاب اعتمد محققه على نسخة واحدة محفوظة في المتحف البريطاني دون أن يبذل محققه جهده في الوصول إلى نسخ سبع ذكرها بروكلمان[41] ونسختين أخريين: إحداهما في المغرب والأخرى في تونس. والكتاب المنشور ينقص من أوله، ونسخة باريس التي ذكرها بروكلمان هي الجزء الأول منه، وقد اطلع عليها الأستاذ هلال فكشف مدى خطورة النقص الذي يصيب كتاباً محققاً عند اعتماد محققه على نسخة واحدة، وقد أثبت نص خطبة الكتاب التي افتقدها النص المطبوع من نسخة باريس[42]، كما أثبت فصولاً وقطعاً مهمة لم يتضمنها النص المنشور.

---

(38) محاضرات في تحقيق النصوص 37.

(39) السابق.

(40) السابق.

(41) انظر تاريخ الأدب العربي بروكلمان 3/ 144 ترجمة النجار.

(42) انظر محاضرات في تحقيق النصوص 49.

أما المثال الثاني فهو الحلقة الثالثة من كتابه[43] تحدث فيها عن نشره كتاب (لطائف اللطف) للثعالبي بتحقيق عمر الأسعد، نشر في بيروت 1980، وقد اعتمد محققها على مجموع مخطوط في مكتبة برنستون الأمريكية، وذكر أنه لم يعثر لهذه المخطوطة على نسخة ثانية فيما اطلع عليه من مؤلفات الثعالبي..

هذا الكتاب المنشور هو الآخر يجسد خطورة الاعتماد على النسخة الواحدة، ويظهر فيه مدى الضرر الفادح من نشره على هذه الصورة. ولو أنعم المحقق الفاضل النظر فيما أورده بروكلمان من مخطوطات الثعالبي، كما لاحظ ذلك الأستاذ هلال، لوجد مخطوطات تحمل فصولاً من الكتاب الذي نشره، والمخطوطات المذكورة في ليدن وباريس والقاهرة وكلها يوافق مخطوطة (لطائف اللطف) المنشورة، ويشينها النقص والتحريف والتصحيف، وقد أشار أيضاً[44] إلى خطأ آخر وقع فيه الدكتور قاسم السامرائي بنشره في ليدن 1978 نسخة مصورة من هذا الكتاب بعنوان اقتبسه من مقدمتها (كتاب لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء) وهي أكمل من نشرة الأسعد لكن عيبها أنها لم تعارض بنسخ أخرى من المخطوطة، وإن كانت قد صححت وهماً وقع فيه بروكلمان في إعطائه رقمين لهذه المخطوطة ظاناً إياها نسختين[45].

وبعد محاولات هلال ناجي في جمع مخطوطات هذا الكتاب وظفره بأربع نسخ منه في جامعات العالم[46]: ثلاث منها سمت الكتاب (اللطف واللطائف) ثم أثبت مئتين وتسعة وسبعين موضعاً تشير إلى النقص والتصحيف والتحريف في نسخة الأسعد المنشورة[47]. على أنّ هذه المواضع هي الأهم، وإلاّ فهي تفوق الحصر.

وهكذا يزيد خطر الاعتماد على النسخة الواحدة في نشر الكتاب بأدلة

---

(43) السابق 53.

(44) انظر محاضرات في تحقيق النصوص ص54.

(45) السابق.

(46) السابق 55.

(47) السابق من ص55 ـ 82.

وشواهد من واقع التحقيق، ومن تجارب وجهود كانت لهذا المحقق المتابع.

القاعدة الرابعة: عدم جواز نشر المختصر مع وجود الأصل الكامل المخطوط[48]، هذه (قاعدة رئيسية من قواعد تحقيق النصوص تغافل عنها باحثون جلة في قرننا)[49]. وقال في موضع آخر: (قد يكون المحقق معذوراً حين يضيع الأصل ولا يبقى منه سوى مختصر كما في كتاب (المقتبس للمرزباني) وهو في تراجم النحاة. فقد ضاع أصله ولم يبق منه غير مختصر صنعه (اليغموري). فالمستشرق الألماني (رودلف زولهايم) معذور في نشر المختصر لضياع الأصل)[50].

لقد ساق ثلاثة نماذج شواهد لإثبات هذه القاعدة في التحقيق العلمي:

أولها: نشر العلامة المحقق الدكتور مصطفى جواد المختصر من تاريخ ابن الدبيثي صنعه الذهبي، نشر منه المجمع العلمي العراقي ثلاثة أجزاء مع وجود نسخ عديدة من النص الكامل، وكان المحقق الفاضل يرجع إليه ويقتبس نصوصاً منه يجعلها ذيلاً على المختصر[51].

والنموذج الآخر كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور)، لابن المعتز نشرة القاهرة 1925[52]، اعتماداً على نسخة دار الكتب المصرية. ونشر هذا الكتاب ثانية بتحقيق مكي السيد جاسم معتمداً على مخطوطتين في مديرية الآثار ببغداد، وكلتا النشرتين كانتا مختصراً لأصلٍ جمع نسخه من مكتبات مختلفة في العالم. وعند مقابلة المختصر للأصل نجد أن المختصر قد أضاع نصوصاً وقطعاً مهمة من النثر والشعر.

لقد ذكر ثلاثة مواضع من المطبوع وما يقابلها من المخطوط الأصل،

---

(48) السابق ص 145.

(49) السابق.

(50) محاضرات.. 37.

(51) السابق.

(52) السابق 45.

فكان النص المطبوع فيها يقابل خمس المخطوط بمقدار ما يذكره من النصوص[53].

أما النموذج الثالث فقد تقصد دراسته وتحليل مادته لتثبيت هذه القاعدة الرئيسة لديه في منهجه. والنموذج هو كتاب (أحسن ما سمعت) للثعالبي[54] المنشور في القاهرة بشرح محمد صادق عنبر سنة 1324هـ، اعتماداً على مخطوطة دار الكتب المصرية، ولم يلتفت إليه مئات من المحققين الذين رجعوا إليه ونقلوا منه ولم يعرف أحد أهو الكتاب الأصل أم المختصر؟ قال الأستاذ هلال: (..وقد ذرّ قرن الشك في نفسي حين رأيت الثعالبي يذكر هذا الكتاب في معرض حديث جرى له مع أبي الفتح البستي إذ قال: (سألني أن أولف كتاباً في الأحاسن وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن فأجبته إلى ذلك)[55] إذنْ فالكتاب في (الأحاسن) ويضم أحسن ما سمعت، وهكذا جرت أفراسي في حلبة البحث حتى ظفرت بالمخطوطة الأصل فإذا هي مخطوطة ضخمة وإذا عنوانها كما توقعت (أحاسن المحاسن) وما زلت أفليها وأنقّر فيها حتى انتهيت إلى الجزم بأن المطبوع بعنوان (أحسن ما سمعت مختصر لها لا يكاد يبلغ ربعها وإن اتفق الكتابان في عدد الأبواب وفي أسمائها أيضاً)[56].

وقد كان المختصر المطبوع (أحسن ما سمعت) يسقط (مقدمة الكتاب الأصلي ثم يغفل النصوص النثرية التي عجت بها المخطوطة، ثم هي تختصر كثيراً من نصوصها الشعرية وتهمل شعراً كأفواف الوشي، ثم هي بعد هذا وذاك تغفل نِسْبَة بعض ما قيل..)[57].

بعد هذا البيان بدأ بذكر نصوص من المطبوع ويقابلها بالمخطوط ويوازن

---

(53) السابق.

(54) انظر المرجع السابق 145...

(55) يتيمة الدهر للثعالبي 3/ 219.

(56) محاضرات في تحقيق النصوص 146.

(57) السابق.

بينهما، فكان الفرق واسعاً بين المطبوع والأصل المخطوط. ثم ختم موضوعه بقوله في هذه القاعدة في التحقيق: (فهذه القاعدة المهمة تغافل عنها بعض المحققين الفضلاء في عصرنا، ومنهم العلامة مصطفى جواد حين نشر مختصر تاريخ ابن الدبيثي.. ويلاحظ في هذا الشأن أنّ نشر هذا المختصر مع وجود الأصل المخطوط يمثل في نظري غلطة علمية كبرى ومجانفة لقواعد التحقيق العلمي... فإذا كان الأصل موجوداً والمحقق الفاضل على علم به فلماذا ينشر المختصر؟ إن ذلك يمثّل في نظرنا كبوة وقع فيها هذا العالم الجليل لم نجد لها مبرراً..

مثل هذا فعل محقق تونسي معروف هو السيد عبد الحفيظ منصور حين نشر كتاباً عنوانه (المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور) للرقيق القيرواني باختيار علي نور الدين المسعودي. وقطب السرور هذا وصل إلينا كاملاً، ومنه مخطوطات في غوطا وبرلين وفينا والأسكوريال وسواها..)[58] وقد مر ذكر نشر مجمع اللغة بدمشق جزءاً منه بتحقيق أحمد الجندي.

مفاهيم في التحقيق:

من موضوعات هذا الكتاب موضوع كان عنواناً لإحدى محاضراته (في التصحيف والتحريف) تناول فيه على طريقته المستقصية في تناول الموضوعات هذه القضية التي شغلت تاريخ رواية النصوص وتدوينها منذ عصر الرواية والتدوين حتى العصر الحاضر. لقد ذكر مصطلحي التصحيف والتحريف وفرّق بينهما بعد عرضه آراء العلماء وأقوالهم فيهما، ثم أثبت رأيه فيهما مؤكداً أهمية هذه القضية وموضعها من علم التحقيق: (وقضية التصحيف والتحريف تُجاوِزُ في أهميتها أهمية أي أمر من أمور التحقيق على الإطلاق، ذلك أنها لا تتعلق بمقدمات التحقيق وأطره وهوامشه وفهارسه، بل هي تتناول سلامة النص بالذات، بل الصيغة التي سطرها مؤلفه. وإذا كان أجود التعاريف لمصطلح

(58) السابق 163 ـ 164.

التصحيف أنه الخطأ في نقط الحروف أو رسم الحركات مع المحافظة على صورة الخط. وإن التحريف خطأ في هيئة الحروف أو زيادة في الكلام أو نقص منه أو تبديل بعض كلماته وتغييرها)[59].

لقد عرض آراء العلماء وأقوالهم في مختلف العصور في هذين المصطلحين، وذكر نصوص أقوالهم شعراً أو نثراً، ثم ذكر من صنف في التصحيف والتحريف منذ ابن قتيبة (ت276هـ)، وأبي بكر الصولي (ت335هـ) حتى ابن طولون (ت953هـ). وقد ذكر أيضاً من كان يضع كتب التصويب اللغوي في ضمن هذاالتصنيف. لقد استقصى هذه القضية أقوالاً وتصنيفاً عبر القرون، وبعد هذا الاستقصاء جاء إلى الجانب التطبيقي منها في ذكر النماذج من التصحيف والتحريف، فعرض نماذج ونوادر منه في كتب القدامى، ثم فصّل الحديث وأكثر من النماذج منه عند المعاصرين في تحقيقاتهم، ونشر كتباً ونصوصاً من التراث بادئاً بـ(ديوان الصاحب بن عباد ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين)[60] ومنتهياً بكتاب (الفسر) ـ وهو شرح ابن جني لديوان المتنبي ـ بتحقيق الدكتور صفاء خلوصي[61].

لقد عرض للتصحيف والتحريف في النصوص شعراً ونثراً، كما عرض لهما في أسماء الكتب وأسماء المواضع في (معجم الأدباء) مثل (كتاب القضاء) لأسامة بن منقذ وصوابه (كتاب العصا) وكتاب الختم (لأبي عمرو الشيباني وصوابه كتاب الجيم)[62].

وورود النص في معجم الأدباء (وأخرج التابوت إلى برانا) وأثبت محققه في الهامش (براناً اسم موضع وفي الأصل براثاً)[63] والصواب ما في الأصل (براثاً) وقد صحفه المحقق ولم يدر إن براثاً اسم جامع معروف في بغداد.

---

(59) محاضرات في تحقيق النصوص 83.

(60) السابق 100.

(61) السابق 137.

(62) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي 5/ 208، 6/ 82 = محاضرات في تحقيق النصوص 137.

(63) معجم الأدباء 2/ 110 وانظر محاضرات 138.

مقدماته ـ شعرية القلم والعواطف:

إن إحدى خصائص هذا المحقق الكبير الاستقصاء وهذه الصفة تحتاج إلى الصبر والأناة، ثم تحتاج إلى جهد متواصل وقدرة على الجمع والحركة، وأضيف إلى ذلك خصيصة أخرى هي شعرية القلم والعواطف التي تظهر واضحة في مقدماته. فتقديم الكتاب لديه فنّ أفصح عن ذلك في أرجوزته.

أ ـ **الاستقصاء**: قلت من خصائص مقدمات هلال ناجي الاستقصاء، إذ يكتب دراسة مستقصية في مصنف النص الذي يقوم بتحقيقه وإخراجه، خصوصاً ما يتعلق بحياته وعلمه ومصنفاته ثم ما يتعلق بالنص المحقق، فهو يظل ينقّر ويبحث عن هذه الأشياء، حتى يصل إلى منتهى ما يصل إليه التحقيق الثبت قال في أرجوزته[64]:

تقديمك الكتابَ فنٌّ قائم ... على ثلاث سنها العيالم
موضوعه وبالذي قد ألفا ... في فنه وما الذي قد عرفا
وما الذي قدم من جديد ... في بابه فكان كالفريد
وبابة تعقد للمؤلف ... تبحث عن حياته بما يفي
وبابة تعقد للمخطوط ... وحبذا أنموذج الخطوط

لذا تعد مقدماته دراسات جامعة في المصنفين، يمكن اعتمادالدارسين عليها؛ فهي جامعة لأخباره ومصادر ترجمته، ثم لمصنفاته وأماكن وجود ما تبقى منها. وفي بعض أعماله تتجمع المادة فتؤلف كتاباً قد يستغرق جمعه سنين من الجمع والاستقصاء، لكي ينفرد في موضوعه كما هو في كتابه عن ابن مقلة مع تحقيق رسالة له في الخط[65]. فذلك من هوايته العلمية المحببة المتوارثة من آبائه كما مرّ ذكره. إن هذه الصفة في هذا المحقق واضحة للمطّلع على أعماله المحققة وأقواله عن تجربة في مشاركته بتحقيق نصوص تراثية منها (ألفية الآثاري)[66]

---

(64) مجلة المورد العراقية 1986 ص181.

(65) صدر في بغداد ـ دار الشؤون الثقافية 1993.

(66) نشر بيروت ـ عالم الكتب 1987.

و(التوفيق للتلفيق) للثعالبي[67]. فقد استقصى استقصاء معجزاً حياة هذين العالمين وما جاء عنهما في كتب الطبقات وغيرها، وتحتجن خزانة مخطوطاته العامرة الكثير والنوادر من مصنفات هذين العالمين وقد نشر منها ما أتحف المكتبة العربية، ولم يكن لي إلاّ نصيب يسير من مقدمتي هذين الكتابين المذكورين.

هذه الصفة من خصائصه المنهجية في إخراج النص وتهيئته للنشر، وهي من صفات المحققين الأثبات ذوي الثقافات الواسعة والقدرات المتعددة نجدها على سبيل المثال لدى الدكتور رمضان عبد التواب في تحقيقاته، فهو أيضاً يستقصي كل ما يخص المصنف والنص حين يكتب مقدمته، فهي الأخرى تُعدّ دراسة وافية عن مصنفي الكتب والرسائل التي حققها، وكذا مقدمات الأستاذ عبد السلام هارون. وهناك اتجاه آخر مال إلى العناية بالنص دون الاهتمام بتقديم النص تقديماً مستقصياً مفصّلاً، هذا الاتجاه لدى أكثر المستشرقين وكثير من المحققين العرب، خصوصاً المحدودي الثقافة والعلم منهم؛ فهم لا يتخذون تقصير المقدمة منهجاً إنما يكون ذلك لقلة علمهم ومحدودية اطلاعهم.

ب ـ **شعرية القلم والعواطف**: هذه الظاهرة الفنية في كتابة المقدمات لا تتوافر إلاّ لمن كان له حظّ من الأدب، وقدرة على تقديم أفكاره ونتائج أعماله بأسلوب أدبي رائق. وهلال ناجي شاعر مجيد، ومحام كبير، وكاتب اتصف أسلوبه برقة التعبير الشعري وشفافيته، كما اتصف بقوة الحجة ودقة التحليل؛ لذلك وجدناه كثيراً ما يبدأ مقدماته شاعراً، ثم يتخذ طريق التفصيل والتحليل، وأهم سبب وراء ذلك يضاف إلى قدرة المحقق الأدبية هو موقفه من التراث وتحقيقه، فصلة هلال ناجي بالتراث صلة العاشق الهائم بحبه، ففي مقدمة محاضرته الأولى من كتابه (محاضرات في تحقيق النصوص) صرح بهذا العشق، وكشف عن آفاقه، فقد استشهد بنص من مقدمة كتاب حققه هو (متخير الألفاظ)[68] لابن فارس إذ قال: (صلتي بالمخطوطات صلة العاشق بالمعشوق يهفو إليه في قرب وبعد، ويقظة ومنام، وحل وترحال، وقد صورت هذا

---

(67) نشره المجمع العلمي العراقي 1985م وأعيد نشره في بيروت ـ عالم الكتب ـ 1996م.

(68) نشر هذا الكتاب سنة 1970 في المغرب ونشر أيضاً في بغداد في السنة نفسها.

الشغف المتغلغل في أعماق النفس في مقدمة تحقيقي لكتاب (متخير الألفاظ) إذ قلت: صاحبت المتخير قرابة عام، كان فيه سميري كل ليلة ونجيّي كل دجنّة، وكان فيه صاحباً ومحدثاً وأليفاً، أصوّب فيه ما حرّف محرِّف وصحَّف مصحِّف فلا يسأم ولا يضجر، وأقطع الليل أخرّج بيتاً لشاعر أو قولاً لناثر، فلا يحول ولا يتغير. وكم غبت عن دنياي وأنا أعرض نصاً على مصدر، حتى إذا ضجعت للغور تالية النجم، وأخذ الليل في طيّ الريط، وتبيّن الخيط من الخيط، ردّني إلى دنياي مؤذن ينادي: أن حيّ على الفلاح.. قد قامت الصلاة، فأنسلخ من مقعدي إذ ينسلخ النهار من الليل، وإذ ينشق النور عن الظلمة، وعلى مثل هذا كان لقاؤنا وافتراقنا قرابة عام)[69]. وهذه السطور على وجازتها تعبّر بصدق عن هذا الهوى الغامر الصخاب[70].

وابتدأ محاضرته (في التصحيف والتحريف) بقوله: «في أيام كانت زبدة الصبا وميعة اليفاع صافح سمعي مصطلحا التصحيف والتحريف أول مرة في حياتي، كان ذلك في حكاية قصها عليّ والدي شيخ مؤرخي الخط العربي ـ رحمه الله ـ عن قارىء أعجمي في عصرهم كان يفترش الأرض شبابَ النهار... وحين ولجت عصر الشباب فقهت فيما فقهت مدلول هذين المصطلحين في عصرنا هذا، على كثرة الخلط الذي وقع ويقع فيه الكثيرون إذ يعدّونهما مترادفين وليسا كذلك)[71].

هذا الأسلوب الشعري في كتابة المقدمات نادراً ما يكون لدى المحققين إلاّ من كان منهم ذا مقدرة فنية في كتاباته، فينعكس ذلك في أسلوب كتابته كما ينعكس في طريقة كلامه أيضاً. ومما يعطي أسلوب الكاتب هذه الشعرية شوقه الغامر لعمله وحبّه النظر فيه؛ لذا تُعَدُّ هذه الشعرية في قلم هلال ناجي في كتابته مقدمات موضوعاته أو كتبه المحققة خصيصة من خصائصه وصفة من صفات منهجه.

---

(69) محاضرات في تحقيق النصوص ص7، متخير الألفاظ لابن فارس، مقدمة المحقق 33 ـ 34.
(70) محاضرات.. 7.
(71) السابق ص83.

خاتمـة:

أستطيع أن أستخلص أهم ما امتاز به منهج المحقق هلال ناجي في تحقيقه كما يأتي:

1 ـ البحث عن الطريف النادر وما هو غير مطروق من الأعمال؛ لذلك كانت ريادته في نظمه أرجوزته في علم التحقيق التي ضمت تاريخ علم التحقيق وقواعده، والخطوات التي يتبعها المحقق، وما يتبع ذلك حتى نهاية العمل بكتابة المقدمة.

2 ـ إرساؤه قواعد في تحقيق النصوص والسير على ضوئها في تطبيقاته، وهذه القواعد قد يكون ذكرها المصنفون في هذا العلم، لكن هلال ناجي اتخذ فيها منهجاً خاصاً به امتاز بالدقة والاعتماد على التجربة وإطالة التأمل والتنقير والتنقيب في مجال المخطوطات، يشدّه بذلك حبّ عنيف لعمله في هذا المجال. وقد ثبّت هذه القواعد في كتابه (محاضرات في تحقيق النصوص)، ثم في جملة من مقدمات مستدركاته على صناع الدواوين التي احتواها (المستدرك على صنّاع الدواوين).

3 ـ الاستقصاء وطول البحث، والسعي إلى إخراج عمله كاملاً أو قريباً من الكمال، وكان ثمرة هذا الاستقصاء وإطالة البحث، كثرة استدراكاته على أعمال المحققين في:

أ ـ مجال الشعر ونشر المجموعات الشعرية مما ألف مجلدين.

ب ـ في مجال نسبة المخطوطات إلى غير مصنفيها.

جـ ـ تعرضه لمفاهيم في التحقيق كقضية التصحيف والتحريف.

4 ـ مقدماته لأعماله وفيها صفتان: إحداهما: ما سبق من استقصاء المعلومات عن حياة المصنف وعلمه، ثم الاستقصاء عما يخص النص وخصائصه ومواضع وجوده.

أما الصفة الثانية: فهذه الشعرية الشفافة التي تصاحب قلمه، ثم صلته بالمخطوط صلة المحب بمحبوبه إذ يناجيه ويحاوره ثم يقدمه لقرائه.

المصادر والمراجع

- بحوث ومقالات في الأدب د. رمضان عبد التواب ط1 القاهرة 1982.
- تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث د.الصادق الغرياني ـ منشورات مجمع الفاتح للجامعات 1989.
- ديوان الصاحب بن عباد ـ تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ بيروت 1974م.
- ما تلحن به العامة ـ أبو الحسن بن حمزه الكسائي د. رمضان عبد التواب القاهرة: 1982.
- محاضرات في تحقيق النصوص ـ هلال ناجي ـ دار الغرب الإسلامي 1994م.
- المستدرك على صناع الدواوين ـ هلال ناجي، د.نوري القيسي ـ نشر المجمع العلمي العراقي 1993.
- معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي ـ تح أحمد فريد الرفاعي ـ مكتبة عيسى البابي بمصر.
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ـ تح د. عائشة عبد الرحمن ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978م.
- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ـ د. رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي القاهرة 1986.
- تحقيق النصوص ونشرها ـ عبد السلام هارون ـ موسوعة الحلبي وشركاه ـ القاهرة.
- مجلة المناهل ـ المغرب العدد 53 سنة 1996م.
- موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق ـ مجلة المورد العراقية 1986.